منطقة المراديّة وقلعتها وما حولها

The Muradiyyah Region, Its Castle, and Surrounding Areas

المهندس صباح مظهر العوفي البديريّ

Engineer: Sabah Mizhar Al-'Awfi Al-Badeeri

الملخّص

يُعنى هذا البحث بدراسة منطقة المراديّة وقلعتها الواقعة ضمن الحدود الإداريّة لقضاء آل بدير في محافظة الديوانيّة، فضلًا عن تمهيد عرض فيه الباحث المدن المجاورة للمراديّة، مع بيان شبكة الأنهار في عموم المنطقة، ومن أهمّها نهر الفوّار وفروعه بوصفه النهر الرئيس في تلك النواحي، الذي يعود له الفضل في سقي الأراضي الزراعيّة وريّها، وتدجين الحيوانات في شرق نهر الفرات ومدينة الديوانيّة، إذ سلّط البحث الضوء على المنطقة وقلعتها وأهّم الأحداث التاريخيّة والسياسيّة التي دارت فيها، وكذلك الأمر بالنسبة للقلعة؛ لأنّها نواة تلك المنطقة، إذ أوضح البحث أنّ القلعة لها أهمّيّة خاصّة؛ لأنّها ساعدت سكّان المنطقة الحصول على مكتسبات كبيرة، من أهمّها مساحات شاسعة من الأراضي الزراعيّة.

الكلمات المفتاحيّة: المراديّة، القلعة، الفوّار، نهر العدل، آل عوفي.

Abstract

This research investigates the Muradiyyah area and its castle, located within the administrative boundaries of Al-Badeer district in Diwaniyah Governorate. It also includes an introduction in which the researcher discusses the cities surrounding Muradiyyah, highlighting the river system throughout the region. The most important of these is Fawar River and its branches, as it is the main river in these areas and is credited with irrigating agricultural lands and domesticating animals east of the Euphrates River and the city of Diwaniyah. The research sheds light on the region, its castle, and the most significant historical and political events that occurred there. The same applies to the castle, which is the core of the region. The research reveals that the castle holds special importance because it helped the region's residents gain significant wealth, most notably vast areas of agricultural land.

Keywords: Muradiyyah, Castle, Fawar, Adil River, Fawar River

المقدّمة

تُعدّ دراسة المدن والقرى المحلّيّة من أهمّ الوسائل في تنمية دور الفرد و المجتمع، وتعزيز هويّته الوطنيّة، وارتباطه مع أبناء جلدته، واندماجه في عاداتهم وتقاليدهم، والقلاع توازي ما للمدن من أهمّيّة، إذ تُعدّ من أهمّ مقوّمات نجاحها واستمراريّتها؛ لكونها تعطي الخاصّيّة الدفاعيّة للمدينة، وبناءً على هذا فإنّ كثيرًا من البلدات كان ظهورها متلازمًا مع القلاع، كما هو الحال مع المراديّة وقلعتها التي نشأت جنبًا إلى جنب، حيث صارت قلعة المراديّة نواة لتأسيس المنطقة، وهي بمثابة السور الذي يحمي المنطقة والمحدّد الحضاريّ لها، ولأهمّيّتها جاءت هذه الدراسة موضّحة دور القلعة في المنطقة وأهمّيّتها العسكريّة، وطراز بنائها الهندسيّ، وأبعادها المتناسقة، إذ أظهرت مهارة المعمار وحذاقته.

سلّط البحث الضوء على منطقة المراديّة الريفيّة الزراعيّة الكبيرة، التي تقع في مقاطعة (١٧) آل بدير، وموقعها الآن في الغرب من مدينة آل بدير، وتبعد عنها حوالي (٢٢ كم)، كما سلّط الضوء على تاريخ قلعة آل عوفي، فضلًا عن التعريف بقبيلة آل بدير وعشائرها، ومن تلك العشائر عشيرة آلبو حسين التي تعود لها قلعة المراديّة، تلك القلعة التي أدّت دورًا مميّزًا في تاريخ المنطقة عامّة، وتاريخ آلبو حسين خاصّة.

تضمّن البحث ثلاثة محاور: الأوّل كان تمهيدًا عن المنطقة المجاورة للمراديّة، والمبحث الثاني عن منطقة المراديّة والتعريف بها، أمّا المبحث

الثالث فكان عن قلعة آل عوفي (قلعة آل بدير) (المراديّة)، وقد اعتمد البحث على مصادر متنوّعة منها: الوثائق غير المنشورة الخاصّة بأرشيف ناحية آل بدير، وملفّات مفتّشيّة الآثار في الديوانيّة، فضلًا عن الكتب باللغات العربيّة وغيرها من المصادر.

المبحث الأوّل

تمهيد عن المنطقة المجاورة للمراديّة

آل بدير قبيلة زبيديّة في أكثر الروايات على الرغم من أنّ هناك من يرجعها إلى قبيلة عزّة الزيديّة أيضًا ومن بيت الأجود، والدلائل التأريخيّة تشير إلى أنّها نزحت أُسوة بكثير من قبائل العراق من اليمن السعيد بعد انهيار سدّ مأرب مرورًا بنجد والحجاز، ثمّ إلى أعالي الفرات، لتستقرّ في عگرگوف القريبة من بغداد، وبعدها نزحت الى جنوب بغداد وتحديدًا إلى منطقة الفرات الأوسط، وكان ذلك بين عامي (١٦٥٠ إلى ١٧٠٠م)؛ طلبًا للأهوار بسبب طبيعة عملهم التي كانت تعتمد على الزراعة ورعي الماشية، وتنقسم قبيلة آل بدير على أربعة أسلاف بعد أن تكاثر عددها منذ ثلاثة قرون، وهذه الأسلاف هي[1]:

١. سلف آل حسن
٢. سلف آلبوحسين
٣. سلف الفراحنة
٤. سلف آلبو خلف

ارتبط سلفا آل حسن والفراحنة لاحقًا بسلف واحد بمسمّى سلف الفراحنة، وبذلك تتكوّن قبيلة آل بدير حاليًّا من ثلاثة أسلاف مستقلّة

(١) حسين حاجم بريدي النواصر، معجم الناصريّ لنسب وتاريخ العشائر العراقيّة، مؤسّسة دار مدين للطباعة، البصرة، د.ت، ص ١٢٢.

كامل الاستقلال بقراراتها العشائريّة وطبيعة عملها، ويسكن سلفا الفراحنة وآلبو خلف في منطقة آل بدير الحاليّة منذ نزوحهم إلى هنا في التاريخ المذكور، أمّا عشائر سلف آلبو حسين فكان منزلهم هو منطقة الفوّار مستفيدين من هور كبير سُمّي لاحقًا بهور آل بدير، ومن نهر الفوّار التي تشكّلت على ضفّتيه مدينة عامرة إلى حدّ قريب نسبيًّا باسم (الفوّار)، وبسبب شحّة المياه وانقطاعه نهائيًّا عنها وذلك عند تغيّر مجرى الفرات من الحلّة إلى الهنديّة، وموت فرع الفرات الواصل إلى الحسكة (مدينة الديوانيّة الحاليّة)، هاجرت كثير من القبائل التي كانت تقطن في مدينة الفوّار ومنها قبيلة آل فتلة والعوابد والحميدات وعشائر آل بدير (آلبو حسين) وقسم من عشيرة الحجّام[1].

إنّ التطرّق إلى المراديّة وقلعتيها لابدّ فيه من تتبّع هجرة عشائر آل بدير وتحديدًا آلبو حسين، إذ انشطرت هذه العشائر إلى مجموعتين: منها من هاجر إلى منطقة تقع جنوب النجف (الكوفة والحرّيّة وأُمّ عبّاسيّات) وشمال الديوانيّة (الشاميّة والصلاحيّة والمهنّاويّة)، أمّا القسم الآخر مع أُسرة المشيخة لآل بدير (آلبو حسين)، فانتقلوا تباعا إلى منطقة آل بدير بعد انحسار مياه الهور عن منطقتهم الحاليّة في مقاطعة (١٧)، (آل بدير السلجة والصحين)، والهجرة كانت بسبب انقطاع المياه أولًا، وبسبب مرض الطاعون الذي فتك بالأهالي في الفوّار في منتصف القرن التاسع عشر ثانيًا، إذ أرسل الشيخ حمّادي ولده عوفي إلى المنطقة بعد تثبيت حامية عسكريّة تركيّة فيها، وكان ذلك في حوالي خمسينيّات القرن التاسع عشر، ليلتحق خلفه الباقي من عشائر السلف

(١) مقابلة شخصيّة للباحث مع الحاجّ رحمن موسى حسن بتاريخ ٢/ ٢/ ١٩٨٢م.

ويستقرّوا فيها استقرارًا غير ثابت، فسرعان ما هاجروا بعد شحّة المياه إلى الكوت في النزوح الأوّل عام (١٩٠٥م)، وعادوا عام (١٩١٨م) إلى منطقتهم بعد أن أمضوا هناك خمس عشرة سنة، وهناك هجرات متعدّدة إلى عفك والسماوة، لكنّها قصيرة الأمد، ومن ثّم حدثت هجرة ثانية إلى الكوت مرّة ثانية وإلى الموفّقيّة في قضاء الحيّ تحديدًا في المدّة (١٩٤٠ - ١٩٥٨م)، إذ استقرّوا في المراديّة إلى يومنا هذا[١].

أمّا المراديّة كما نوّهنا فقد وُجدت فيها الحامية العثمانيّة، وكان لها تسمية إداريّة باسم آل بدير، ثمّ تحوّل اسمها إلى المراديّة كما سيأتي تفصيل ذلك لاحقًا. ولمعرفة هذه المراحل في معيشة عشائر سلف آل بدير (عشيرة آلبو حسين)، فلا بدّ أن نركّز على أهمّ مقوّمات المعيشة والبقاء في مراحل انتقالهم، ونعرّج هنا على الأنهار التي أدّت دورًا كبيرًا في الهجرة، لأنّ النسيج العشائريّ يعتمد في معيشته على الزراعة وتربية الحيوانات، ولمعرفة هذا السبب الجوهريّ لا بدّ من دراسة الأنهار التي تسقي أراضي آل بدير مجال بحثنا، ومن هذه الأنهار:

نهر الفوّار

نهر متفرّع من نهر اليوسفيّة في المقاطعة (٢٠)، الرفيع قضاء مركز الديوانيّة، الذي يصل إلى منطقة النجميّ في السماوة، ويغذيّ شطّي خنجر النجميّ بالمياه، وقد توقّف عن التدفّق ما بين (١٨٣٠ - ١٨٥٠م)[٢].

---

(١) أرشيف عشيرة آلبو حسين.

(٢) فيصل غازي الميّاليّ، القول المعلوم في تاريخ حمزة للموم، مدينة الحمزة الشرقيّ عبر التاريخ، تحقيق: رجوان فيصل الميّاليّ، دار قناديل للطباعة، بغداد، ٢٠١٩، ص ١٤٨.

لم يسعفنا التاريخ بذكر بداية نشأة مدينة الفوّار التي يخترقها نهر الفوّار، وكلّ ما ذكر أنّها عمرت أو ازدادت إعمارًا بعد أن كانت تقع في وسط مجموعة من الأهوار التي تكوّنت بسبب الفيضانات في تلك المدّة، وخاصّة فيضان نهر الفرات عام (١٧٠٠م)، إذ طفحت مياهه على جميع الأراضي الزراعيّة الواقعة عليه والتي تسقي منه، فأتلفت جميع المزروعات، وتقطّعت الطرق، وسبق ذلك أن تحوّل مجرى الفرات من مجراه القديم الذي كان يمرّ بمدينة الرمّاحيّة إلى جهة نهر ذياب عام (١٦٨٨م) الذي تقع عليه بلدة الحسكة (الديوانيّة اليوم)[١].

فضلًا عن ذلك فإنّ أراضي الفوّار كانت مأهولة من عشائر عدّة منها: آل فتلة، والعوابد، وآل بدير فرقة آلبوحسين، والحجّام، وسكنتها لمدّة عشيرة الحميدات، ووصفه المستر وليام كينيت لوفتس (William Kennett Loftus) الذي قام برحلة من بغداد إلى البصرة في شهري كانون الأوّل وكانون الثاني من عامي (١٨٤٩-١٨٥٠م) في مقال نشره في مجلّة الجمعيّة الجغرافيّة الملكيّة البريطانيّة لعام (١٨٥٦م)، جاء فيه أنّ الجدول في صدره عميق جدًّا، وله ضفاف عالية ويبلغ عرضه في صدره (٤٥) قدمًا، لذا لا يمكن قطعه إلّا من معبر خاصّ[٢]. أنّ نهر الفوّار المتفرّع من نهر

(١) مرتضى أفندي نظمي زاده، كلشن خلفا، نقله إلى العربيّة موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، (النجف الأشرف ١٩٧١)، ص ٧٧.

(٢) للمزيد من التفصيل يُنظر:

W. Kennett Loftus, Notes of a Journey from Baghdad to Busrah, with Descriptions of Several Chaldaean Remains, Journal of the Royal Geographical Society of London, Vol. 26, 10 March,1856, p 141.

اليوسفيّة[1] كان يمرّ في منطقة الفوّار التي كانت مسكنًا لقبيلة آل بدير (فرقة آلبو حسين)، إضافة إلى باقي العشائر المذكورة، وعند انتقال قسم من هذه العشائر إلى منطقة المراديّة عندما انحسر الهور منتصف القرن التاسع عشر سكنت على فرع آخر منه هو نهر العدل المذكور سابقًا (وقد سُميّ محليًّا الأديرد) الذي جفّ هو الآخر كما سيرد ذكره لاحقًا، ولقد مات نهر الفوّار نهائيًّا في عام (١٢٨٤هـ - ١٨٦٧م)[2]، وجرت أكثر من محاولة لإحياء نهر الفوّار المغذّي الرئيس لشطّ النجميّ بالمياه، غير أنّها باءت بالفشل، قام بذلك الميجر ديلي (Major Daily) عام (١٩١٨م) إلى (١٩٢٠م) وكذلك شرعت دائرة الريّ بالمسح للهدف نفسه عام (١٩٣٠م)[3].

لقد أوضحنا التغيّرات التي حصلت على نهر الفرات من تحويل مجراه إلى نهر الهنديّة، وبذلك جفّ المجرى القديم له المارّ بالحلّة والديوانيّة، ممّا نتج عن ذلك أن تأثّر مجرى نهر الحلّة وتحوّله إلى مجرى جافّ، وبالتالي تأثّرت مدينة الفوّار التي كانت تقع على شمال أهوار كثيرة غير متباعدة منها الهور القريب من مدينة لملوم والهور الذي تقع عليه آل بدير سابقًا، ولقد تذبذبت المياه في النهر المذكور بمرور حقبة من الزمن طوال القرن التاسع عشر حتّى إكمال مشروع سدّة الهنديّة سنة (١٩١٣م)، إذ سبقّها محاولات للسدّ طوال القرن التاسع

(١) للمزيد من التفصيل عن نهر اليوسفيّة والفوّار، ينظر:

Chesney. R, A survey of rivers Euphrates and ticris, New York. p57.

(٢) حمود الساعديّ، بحوث عن العراق وعشائره، مطبعة دار الأندلس، النجف الأشرف، ١٩٩٠، ص١٧٠-١٧١.

(٣) فيصل غازي الميّاليّ، الانتفاضات الفلّاحيّة في محافظة القادسيّة خلال العهد الملكيّ، منشورات مؤسّسة الفكر الجديد، النجف الأشرف، ٢٠١٣، ص٤٥.

عشر، لكنّها باءت بالفشل، ممّا حدا بساكني الفوّار من آل بدير بالارتحال إلى مناطق شتّى، أهمّها منطقة الهور الكائنة في أطراف الكوفة مثل العبّاسيّة والحريّة وما يقابلها من الديوانيّة مثل: الشاميّة، والمهناويّة، والصلاحيّة[1].

إنّ انتقال باقي آلبو حسين إلى منطقة المراديّة كان على مرحلتين: الأُولى كانت إلى أطراف مقاطعة (١٧ السلجة والصحين) القريبة من مقاطعة (١٤ الفوّار)، وهناك استقرّوا لسنوات عدّة، وبنوا عددًا من القلاع، وكان مقرّهم في منطقة (خوسيج) و(تلّ بيت) القريبة من مرقد سيّد سلطان الياسريّ، لكنّ مرض الطاعون ذلك الوباء الرهيب قد ألمَّ بهم في منتصف القرن التاسع عشر، وكانت خسائرهم المادّيّة والبشريّة كبيرة جدًا، ممّا دفع آل اعليّ (آل خنيزير) من عشيرة آلبو ماضي إلى الارتحال إلى الكوت، أمّا الباقون مع مشايخهم (آل عوفي)، فانتقلوا للداخل، واستقرّوا على ضفاف نهر العدل الذي تحوّل لاحقًا إلى نهر الثريمة، وبعدها إلى الجوعان، ثمّ رجعت تسميته باسم الثريمة[2].

منطقة الفوّار

كانت مدينة الفوّار من المدن العامرة سابقًا، وهي قريبة نوعًا ما من مدينة الديوانيّة الحاليّة، وكانت مركزًا لوحدة إداريّة إلى نهاية الحكم العثمانيّ، إذ تشكّلت بصفة ناحية عام (١٨٥٩م)، والفوّار موقع مهمّ من حيث:

١ - الأراضي الزراعيّة وكونه جزءًا من (منطقة الحسكة) الديوانيّة حاليًّا، حيث أنّ الحسكة تسبق الديوانيّة، بل تُعدّ الديوانيّة عاصمة إقليم الحسكة، إذ

(١) حمود الساعديّ، دراسات عن عشائر العراق، مطبعة الانتصار، بغداد، ١٩٨٨، ص ٣٢١.

(٢) مقابلة شخصيّة للباحث مع الحاجّ رحمن موسى حسن بتاريخ ٢/ ٢/ ١٩٨٢م.

ذكر ذلك العالم الإيطاليّ دومينكو سيستيني (Domenico Sestini) الذي قام برحلة عام (١٧٨٢م)[١]، وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ تسمية الديوانيّة جاءت على اسم مضيف الخزاعل الذي بُني في الصوب الصغير للمدينة، يقابله مضيف الأكرع العائد إلى الشيخ محمّد آل حمد آل كروش (لكنّ تردّي أنظمة الريّ والترسّبات التي رافقت ذلك أدّى إلى ظهور بلدة الديوانيّة، وكذلك انتقال الحاكم إلى الديوانيّة والنموّ والتوسّع الذي ساد البلدة وازدياد نفوذ الخزاعل الذين أسّسوها، فضلًا عن الهجرة التي تكاثرت بين سكّان الحسكة، كلّ ذلك أدّى إلى اضمحلال نجم بلدة الحسكة)، وهناك رأي آخر يرجع التسمية إلى ديوان عثمانيّ بُني في الديوانيّة الحاليّة من السلطات العثمانيّة [٢].

٢ - قرب (الفوّار) من الطريق النهريّ المهمّ الذي يصل من الحلّة حتّى البصرة، أمّا الطريق البرّيّ القديم الذي مرّ ذكره فيخترقه من جهته الغربيّة بمحاذاة لملوم (الحمزة الشرقيّ حاليًّا) إلى أنّ يصل إلى (العوجة) الرميثة حاليًّا، ليستمرّ ليصل إلى البصرة، وبلدة الفوّار وبسبب تشعب نهر ذياب عام (١٦٨٨م) وحتّى قبلها بعصور كانت منطقة أهوار داخلة ضمن نفوذ الخزاعل فعمروها[٣]، لكنّ الخزاعل ابتعدوا عنها متّخذين

(١) دومينكو سيستيني، العراق في رحلة الأب دومينكو سيستيني في سنة ١٧٨١م، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين، المؤسّسة العربيّة للنشر والتوزيع، ٢٠١٥، ص١٧٥-١٧٧.

(٢) سامي ناظم حسين المنصوريّ، ٢١كانون الأول ١٧٠١م من هنا بدأت حكاية مدينة الديوانيّة، دار الفرات للطباعة، بابل، ٢٠٢٢، ص٣٠-٣١.

(٣) سعد عبد الواحد عبد الخضر، فريق مزهر الفرعون مواقف وتاريخ، دار المدينة الفاضلة للطباعة والنشر، بغداد، ص٢١.

مجرى نهر فرات الرمّاحيّة إلى حدود العوجة (الرميثة) منطقة نفوذ لهم، وذكرت المصادر أنّ الخزاعل بقي نفوذهم مسيطر على المنطقة بشكل كامل ليمتد نحو نصف مساحة الفرات الأوسط.

وما زالت آثار سوق الفوّار ماثلة للعيان عندما كانت عامرة بسكّانها، واستُحدثت فيها وحدة إداريّة (ناحية) تتبعها قرية الحمزة مع عدد من النواحي هي بلدة مصاعة ناحية بني مالك (غير قبيلة بني مالك الموجودة في البصرة الآن)، على أنّ أعداد سكان الفوّار قد تغيّر لأسباب أهمّها: زيادة وشحّة المياه، والسبب الآخر هو مداهمة مرض الطاعون لمدينة لملوم المدينة الرئيسة آنذاك[1]، ومن الجدير بالإشارة وكما ذكر السيّد فيصل الميّاليّ أنّ نهر الفوّار هو فرع من نهر اليوسفيّة، الذي يأخذ مياهه من نهر ذياب، وينتهي بنهر الفوّار، ثمّ بمبزل شطّ النجميّ، وبهذا يقطع مسافة طويلة جدًّا، تُقدّر بـ (٦٠) كم، يمرّ من خلالها بقرى شرق الديوانيّة: العبايجيّ، والملاحة، والشوفة، حتّى يصل إلى الرميثة[2].

وذكر ودّاي العطيّة (كانت الحمزة قرية تابعة من الناحية الإداريّة إلى ناحية الفوّار، وهي الأُخرى التي طالها الخراب في العقد السابع من القرن الثالث الهجريّ (التاسع عشر الميلاديّ) وفي العقدين السابع والثامن من القرن الثالث عشر الهجريّ أخذ الأهالي بالهجرة عنها، على هذه الحالة كانت الحمزة ومدير ناحيتها في الفوّار، وكانت ناحية الفوّار حديثة التأسيس، حيث كان تشكيلها

(١) ودّاي العطيّة، تاريخ الديوانيّة قديمًا وحديثًا، منشورات المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٥٧، ص١٩٣.

(٢) فيصل غازي الميّاليّ، القول المعلوم في تاريخ حمزة لملوم، ص١١٣، و ٢٧٠.

سنة (١٨٥٩م) ومياه الفوّار أخذت بالتناقص، والأهالي وصلوا إلى درجة اليأس من الزراعة؛ ولذا أخذ القسم الأعظم منهم بالرحيل إلى الهنديّة ولأنحاء أخرى، وأوّل مدير ناحية هو (حسن مير حمزة) عام (١٨٥٩م) وهو جدّ شاكر ملّا كريم من سكنة الديوانيّة، جاء به شعبان بك قائمّقام الديوانيّة في تلك الفترة إلى هذه الناحية، وعيّنه فيها، ثمّ أخذت الناحية بالانحطاط والتأخّر إلى أوّل القرن الرابع عشر الهجريّ، وفيه صارت (قول معشري)، أي: مخفر شرطة فقط، وتُسمّى محليًّا (نقطة ابن حجيل)[١].

ولقرب مدينة الفوّار من الديوانيّة وأهمّيّتها بوصفها مدينة كبيرة فقد ذكر ودّاي العطّية أنّ الجيوش البريطانيّة عندما تقدمت نحو بغداد بأن الضعف والانكسار في حكومة لواء الديوانيّة خصوصًا بعد ثورة النجف وكربلاء سنة (١٩١٦م)، وطرد الحاميات العثمانيّة منها، لذا استعدّ أهل البلدة لحمايتها بأنفسهم، وشكّلوا - إشباب - (والشبّة هي العمد الذي يُرفع به البيت، وكانوا يطلقون لفظة «الشبّة» على الحمولة أو العائلة أو الجماعة المجتمعة على رأي واحد، ويقال لرئيسها رئيس الشبّة)، وعندما سقطت بغداد سنة (١٩١٧م) استولوا على السلاح والمعدّات، وقسّموها فيما بينهم، وجدّدوا بناء السور المتهدّم، وأقاموا مفاتيل (قلاع) عددها ستّة إحداها في الموقع المقابل للفوّار، وسُميّ باسم مدينة الفوّار نفسه، وهذا يدلّ على كبر حجم المدينة وأهمّيّتها[٢].

أكّد السيّد فيصل الميّاليّ على (أنّ سراي الحكومة في الفوّار كان مبنيًّا من الطابوق، وبقيّة البناء من الطين واللبن، وكان في الفوّار من (١٠-١٣) من

(١) ودّاي العطيّة، المصدر السابق، ص ١٤٨-١٤٩.
(٢) المصدر نفسه، ص١٤١.

الجندرمة وجابي ماليّة واحد، وكان سعدون آل رسن شيخ الأكرع، هو الذي يتحكّم بماء نهر الفوّار، حيث كان يسيطر على بداية النهر، وكان بعض من أفراد قبيلة الجبور فلّاحين في أراضي الفوّار عند رؤساء قبيلة، آل فتلة وقد قامت عشيرة البدور العنزيّة بغزو الجبور في الفوّار، وكان شيخهم في تلك الأيّام - كمّون آل دانة، وعبد آل جبل، وفي مقابلة للسيّد فيصل الميّاليّ عام (١٩٧٨) مع المرحوم محمّد عاكول حبيب من عشيرة الجبور- فرقة آلبو مرجان، قال: إنّ ولادته كانت في مدينة الفوّار، وإنّه ارتحل عنها سنة (١٩٠٦م)، وهو يتذكّر أغنية الأطفال يردّدونها في أيّام الأعياد عن مدير الناحية المدعوّ عبّاس أفندي (عبّاس أفندي العنده عندي)[١].

كانت منطقة الحمزة تتبع الفوّار التي نزلت درجتها من ناحية إلى شعبة لغاية (٤/ ٦/ ١٩٢٤)، وكان أصحاب المضخّات يدفعون عن قوّة كل حصان واحد من مضخّاتهم أربعمائة وخمسين كيلو شعير وأربعمائة كيلو حنطة، وهو حاصل الحكومة بحسب التعامل المقطوع الجاري في شعبة الفوّار[٢].

ولقد اندثرت مدينة الفوّار بجفاف النهر المُسمّى باسمها المتشعّب من نهر اليوسفيّة، وهُجرت أراضيها إلى عهد قريب عندما استُغلّت الأراضي من عشائر الجبور والأكرع، وقد ذكر الحاجّ ودّاي العطيّة أنّ ناحية الحمزة (الملوم) وناحية الفوّار من أحسن بقاع العراق زراعة وذلك من أواسط القرن الثاني عشر الهجريّ إلى العقد الثالث من القرن الثالث عشر الهجريّ، إذ أخذت ناحية الحمزة لملوم بالانحطاط، أمّا ناحية الفوّار فهي الأخرى

(١) فيصل غازي الميّاليّ، القول المعلوم في تاريخ حمزة لملوم، ص٢٧١-٢٧٢.
(٢) ودّاي العطيّة، المصدر السابق، ص١٩٤-١٩٥.

أصابها الخراب، واخذ الأهالي بالهجرة عنها، بل هاجر بعضهم في منتصف القرن المذكور وفي أوائل القرن الرابع عشر ارتحل عنها عامّة السكّان، ماعدا عدد قليل من سكّانها لا سيّما أصحاب المواشي، الذين كانوا يتردّدون عليها في بعض المواسم، وقد اتّخذها قطّاع الطرق وكرًا لهم للنهب والسلب بعد انقطاع طرق المواصلات عنها [١].

ولأهمّيّة المنطقة شُرّع المرسوم الجمهوريّ المرقم (٤٣٦) في (٣ / ٤ / ١٩٦٩م) باستحداث ناحية باسم ناحية الفوّار مبتعدةً عن موقع ناحية الفوّار القديمة ومندفعة نحو الشرق [٢]، لكنّ الاسم بُدّل إلى ناحية نفر؛ لأنّ اسم الفوّار ارتبط في أذهان كلّ العراقيّين بـ (جماعة) الغجر الذين وُطّنوا في هذه المنطقة، بعد أن كانوا يجوبون القرى ممتهنين الفنّ الريفيّ وأعمال أُخرى كالحدادة البسيطة، غير أنّ الناحية أُلغيت في سنة (١٩٨٧م)، ثمّ أُعيد استحداثها مرّة ثانية في سنة (٢٠٠٢م)[٣].

والجدير بالذكر أنّ منطقة الفوّار كانت من ضمن مدينة الحسكة، إذ تشير الدلائل التاريخيّة إلى أنّ قصبة الحسكة قديمًا هي مدينة الديوانيّة حديثًا، ولربّ قائل: إنّ مدينة الديوانيّة الحاليّة تقع على نهر ذياب الذي تكوّن واتّسع في أوائل القرن الثاني عشر، والحسكة أقدم من هذا التاريخ؛ لأنّ العلّامة ابن السويديّ صاحب كتاب (حديقة الزوراء) يشير إليها بتاريخ

(١) ودّاي العطيّة، المصدر السابق، ص ١٩٣.

(٢) جريدة الوقائع العراقيّة، العدد (١٧١٨)، ٢٠ نيسان ١٩٦٩م.

(٣) عبد الرحمن بن عبد الله السويديّ البغداديّ، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه عماد عبد السلام رؤوف، منشورات المجمع العلميّ، مطبعة المجمع العلميّ، (بغداد ٢٠٠٣)، ص ١٥٦.

(١١١٧هـ، ١٧٠٥م) بأنّها بلدة مسوّرة، إذ لا بدّ أنّ تكون موجودة قبل هذا التاريخ بعشرات السنين[١]، وإذا كانت كذلك فمن أين كانت تأخذ حاجتها من الماء؟ وللإجابة نقول: إنّ آثار نهر واقع بين نهر اليوسفيّة المندرس ونهر (أبو وصايف) المندرس أيضًا وهذا النهر الماثلة آثاره الآن يقع بين هذين النهرين، ومجراه من نهر الفرات العمود المباشر، إذ لا تبعد الحسكة عنه، وكانت تستقي من هذا النهر كما هي واقعة عليه مباشرة، ولمّا تكوّن نهر ذياب الحاليّ صار يمرّ على الحسكة من جهة الجنوب، فأخذت تستقي منه، وتأخذ حاجتها من الماء[٢]، وكانت ناحية الفوّار من أحسن بقاع العراق زراعة، وأصبحت قبلة العراق وعروس الفرات [٣].

(١) للمزيد يُنظر: رجوان فيصل الميّاليّ، سور مدينة الديوانيّة القديم، مجلّة القادسيّة للعلوم الإنسانيّة، المجلّد ١٦، العدد١، ٢٠١٣، ص٢٩٩-٣٠٠.

(٢) فيصل غازي الميّاليّ، مباحث فراتيّة في الجغرافية والتاريخ والآثار، ج١، ص١٥٣-١٥٦.

(٣) تاريخ الديوانيّة قديمًا وحديثًا، ص١٩٣.

المبحث الثاني

منطقة المراديّة

المراديّة منطقة ريفيّة زراعيّة كبيرة، تقع في مقاطعة (١٧) آل بدير، وموقعها الآن في الغرب من مدينة آل بدير، وتبعد عنها حوالي (٢٢ كم)، كانت المراديّة مركزًا لوحدة إداريّة، حيث إنّ أوّل عمل من أعمال الوالي مدحت باشا أنّ أعلن تطبيق نظام الولايات في العراق في سنة (١٨٦٩م)، وبهذه الواسطة أُدخلت الترتيبات الإداريّة التي بقيت، فلم يمسّها إلّا قليل من التبّدل، حتّى سنة (١٩١٤م) ففي كلّ بلدة أو قرية مصنّفة بحسب أهمّيّة منطقتها، كان يوجد المتصرّف أو القائمّقام أو مدير الناحية [١].

استند مدحت باشا إلى قانون الولايات العثمانيّة الصادر سنة (١٨٦٤م)، لتنظيم إدارة البلاد، فعرف العراق لأوّل مرّة في التاريخ الحديث تنظيمًا محكّمًا ارتبطت بواسطته، أنحاء العراق كافّة بمراكز إداريّة رئيسة هي النواحي، التي ترتبط بمراكز أعلى هي الأقضية، بينما ترتبط الأخيرة بالسناجق (الألوية) التي تشكل تنظيمات أوسع هي الولايات، فأرسى بذلك دعائم الإدارة الحديثة الأُولى في العراق. إذ تمّ تقسيم العراق إلى عشرة ألوية، وخمسة وثلاثين قضاءً، وخمسة وثمانين ناحية [٢].

---

(١) أحمد الشرقاويّ، محمّد عبد العاطي محمّد، ياسر أحمد محمّد، جغرافية المّالك العثمانيّة، دار البشير للثقافة والفنون، ٢٠١٨، ص٢٦٧.

(٢) جميل موسى النجّار، الإدارة العثمانيّة في ولاية بغداد من عهد الوالي مدحت باشا إلى نهاية الحكم العثمانيّ ١٨٦٩ - ١٩١٧، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، ط٢، (بغداد: ٢٠٠١)، ص١٢٥.

وكان لواء الديوانيّة ولواء الحلّة في زمن الحكم العثمانيّ لواءً واحدًا، غير أنّ مركز اللواء يكون مرّة في الحلّة وأُخرى في الديوانيّة، فإذا كان مركز اللواء في الحلّة فتكون الديوانيّة قضاءً ملحقًا بالحلّة، والعكس بالعكس[1]، ويمكن ذكر النواحي التابعة إلى قضاء الديوانيّة وهي: الدغّارة، وعفك، وآل بدير (سُمّيت لاحقًا بالمراديّة)، والفوّار، والشافعيّة، و(المليحة، والشوفة)[2].

اسم (المراديّة)

اختلفت الآراء في تاريخ تسمية المنطقة باسم المراديّة، وسندرج شرحًا موجزًا لهذه الآراء:

١- إنّ تشكيل الناحية في منطقة آل بدير كان في منطقة المراديّة قبل تسميتها بهذا الاسم، إذ كانت تُدعى آل بدير، وعند تشكيلها كوحدة إداريّة سُمّيت المراديّة على اسم الوالي العثمانيّ مراد الخامس، الذي دام حكمه ثلاثة أشهر فقط من (٣٠ أيّار ١٨٧٦م إلى ٣١ آب ١٨٧٦م) بعد اختلال قواه العقليّة، وخلفه أخوه عبد الحميد الثاني، إذ أُبعد إلى قصر جراغان، ليعيش على أمجاد سلطة غادرته، حتّى تُوفيّ سنة (١٩٠٤م)، ومن المفيد هنا التطرّق إلى السلطان مراد الخامس الذي يحتمل أنّ المراديّة بوصفها وحدة إداريّة تشكّلت في عهده، أو أنّها تشكّلت قبله ثمّ سُمّيت باسمه لاحقًا[3].

---

(١) سامي ناظم حسين المنصوريّ، الديوانيّة في العهد العثمانيّ الأخير ١٨٥١-١٩١٧، مطبعة دار المدينة الفاضلة، بغداد، ٢٠١٢، ص٤٩-٥٠.

(٢) ودايّ العطيّة، المصدر السابق، ص١٤٨-١٤٩.

(٣) حليم بك إبراهيم، المصدر السابق، ص٣٦٧.

وفي هذه الرواية نرى أنّ المراديّة كوحدة إداريّة قد شُكّلت عام (١٨٧٦م)، أي: في عهد السلطان مراد الخامس، أو في تأريخ قبل ذلك، لكنّ التسمية قد أُلحقت بها في عهد السلطان المذكور، ومن المحتمل أنّ النخيلة استُحدث فيها بوصفها مركز شرطة في التاريخ نفسه؛ لأنّ المعلومات المتداولة عن هذا المركز أنّه لم يدم طويلًا في منطقة النخيلة، ففي سنة (١٨٧٨م) حدثت المعركة بين أهالي آل عليوي والجاندرمة التركيّة، وقُتل الضابط المسؤول في هذا المركز (حمود عبد الواحد) من عشيرة جحيش، وبذلك نُقل المركز بعد الغائه؛ بسبب هذه الحادثة المذكورة إلى منطقة المراديّة القائمة آنذاك، أمّا قلعة المراديّة فقد بُنيت عام (١٨٨٥م) من الشيخ مزعل آل عوفي[١].

٢- أمّا الرأي الثاني فهو أنّ الاسم جاء على اسم متصرّف سنجق الحلّة، وكان يُدعى مراد أبو كذيلة، وهذا كان متصرّفًا في منتصف عقد الثمانينيّات من القرن التاسع عشر، بعد انفصال ولاية البصرة انفصالًا نهائيًّا عن ولاية بغداد سنة (١٨٨٤م)، وكانت الموصل قد انفصلت مثل هذا الانفصال النهائيّ عن بغداد منذ عام (١٨٧٩م)، وكان سنجق الحلّة يتألّف من الأقضية والنواحي التالية[٢]:

أ- قضاء مركز السنجق، وتتبعه ناحية المدحتيّة.

ب- قضاء السماوة وتتبعه ناحية الرميثة.

ج- قضاء الشاميّة، وتتبعه ناحية الشنّافيّة.

---

(١) مقابلة شخصيّة للباحث مع نعثيل موسى في ٣/ ٤/ ١٩٩٢م.

(٢) فيصل غازي الميّاليّ، مباحث فراتيّة في الجغرافية والتاريخ والآثار، ج١، مطبعة المارد العالميّة، النجف الأشرف، ٢٠١٠، ص١٦٢-١٦٣.

د – قضاء الديوانيّة وتتبعه نواحي الدغّارة، وعفك، وآل بدير[١].

وبذلك نرى أنّ التسمية جاءت من هذا الاحتمال، أي: أنّها اتّخذت اسمها من اسم مراد أفندي أبو كذيلة متصرّف سنجق الحلّة أثناء زيارة قام بها لقائمّقاميّة قضاء الديوانيّة ووحداتها الإداريّة بوصفها تابعة لسنجق الحلّة الذي يشغل هو متصرّفيّته[٢]، ويمكن إجمال التغيّرات التي طرأت على آل بدير كوحدة إداريّة فيما يأتي[٣]:

– استُحدثت إداريًّا سنة (١٨٦٩م) باسم ناحية آل بدير، وكان ذلك في المقاطعة المسمّاة الآن (١٧) السلجة والصحين الكائنة في منطقة آلبو حسين.

– تغيّر اسمها إلى ناحية المراديّة في منتصف عام (١٨٧٦م).

– رُفعت الدرجة الإداريّة لها إلى قضاء بعد عام (١٨٧٧م).

– أُنزلت درجتها الإداريّة إلى ناحية عام (١٨٧٩م).

– صُنفّت الدرجة الإداريّة للناحية في عام (١٩٠٧م) إلى الصنف الأوّل.

– نُقلت باسم ناحية المراديّة إلى منطقة عبرة آل بدير سنة (١٩٢٩م).

– أُلغيت الناحية عام (١٩٣٦م).

– أُعيدت سنة (١٩٣٧م) باسم ناحية آل بدير.

– غُيّر اسمها إلى ناحية التحرير بعد عام (١٩٥٨م).

– أُعيدت لها تسميتها ناحية آل بدير سنة (١٩٦٣م).

---

(١) يُنظر: عبد الرزّاق الحسنيّ، العراق قديمًا وحديثًا، دار الرافدين للطباعة، بيروت، ٢٠١٣، ص١٥٣.

(٢) فيصل غازي الميّاليّ، مباحث فراتيّة في الجغرافية والتاريخ والآثار، ص١٤٧.

(٣) المصدر نفسه، ص١٥٣.

- حُوّلت إلى قضاء سنة (٢٠١٩م) بالاسم نفسه (قضاء آل بدير).

ونورد هنا إحدى الوثائق العثمانيّة التي تتضمّن الوثسقة الآتية:

وثيقة رقم (٥٠)

جهة الإصدار: الباب العالي/ دائرة الداخليّة - لجنة انتخاب المأمورين

العدد ٦٣١

التاريخ: ٤ ربيع الأوّل ١٢٩٧هـ

٢٣ شباط ١٢٩٥ ر. م.

١٥ شباط ١٨٨٠م

موضوع الوثيقة: تخصيص راتب تقاعديّ لقائمّقام قضاء آل بدير

محتوى الوثيقة: أشارت الوثيقة إلى إنزال الدرجة الإداريّة لقضاء آل بدير المرتبط بلواء الحلّة إلى ناحية كما كانت سابقًا، وإعادة ربطها إداريًّا بقضاء الديوانيّة، وأنّه من الضروريّ تخصيص راتب شهريّ تقاعديّ لقائمّقام القضاء السابق آل بدير محمّد حمدي أفندي؛ لما أبداه من إصلاح في القضاء خلال تولّيه مهمّة القائمّقاميّة [1].

والكتاب لاحق لتنزيل الدرجة الإداريّة، إذ طلب القائمّقام السابق شموله بالراتب التقاعديّ.

وذكر السيّد فيصل الميّاليّ أنّ اندثار مدينة المراديّة كان بسبب جفاف

(١) سامي ناظم حسين المنصوريّ، الديوانيّة وتوابعها في وثائق الأرشيف العثمانيّ ١٨٦٥ - ١٩١٧م، دار المدينة الفاضلة، ط١، بغداد: ٢٠١٥، ص ١٤٧.

نهر اليوسفيّة، حيث كانت المراديّة مركزًا لقائمّقاميّة آل بدير، ثمّ أُنزلت درجتها الإداريّة إلى ناحية، ونقلت لاحقًا إلى عبرة آل بدير، التي أُنشئت على ذنائب شطّ الدغّارة، ومن المعروف تاريخيًّا أنّ عشيرة آل بدير القحطانيّة عند نزوحها من عگرگوف وبعد ذلك إلى منطقة إيشان بحريات – مدينة إيسن القديمة – الواقعة في القطعة (٥٢) مقاطعة (١١) المحّار – آل بدير الحاليّة، حيث سكنت هذه العشيرة أو فرقة منها (يقصد عشائر فرقة آلبو حسين مع آلبو فلاح) في هذا الإيشان، وكذلك منطقة الفوّار التي تقع الآن في المقاطعة (١٤) آل بدير الحاليّة[١].

كان أوّل مدير ناحية لناحية آل بدير (الواقعة في منطقة المراديّة) هو حسين أفندي، وكانت ناحية الدغّارة وآل بدير أهمّ من ناحية عفك من حيث التشكيلات الإداريّة[٢]. انفصلت ناحية المراديّة ممّا حدا بالشيخ فيصل آل عوفي بمدّ مدير الناحية وموظّفيه بالراتب ومستلزمات المعيشة لقرابة السنة[٣].

ومازال موقع الناحية المبنيّ باللبن (الطابوق غير الناضج) ماثلًا للعيان قرب موقع يُدعى (الحيحة)، وهي بقايا مكان دائريّ وهي قلعة عثمانيّة تُدعى المراديّة، استُخدمت لاحقًا من أمير ربيعة عندما كان يسكن في الأهوار التي تشكّل ناحية آل بدير الحاليّة، وعند ارتحال أهالي منطقة المراديّة؛ بسبب شحّة المياه وانقطاعها تمامًا نُقلت ناحية المراديّة إلى آل بدير، وبقت بالاسم نفسه إلى سنة (١٩٢٩م)، إذ أُلغيت الناحية، وتمّت إعادتها باسم ناحية آل بدير سنة

(١) فيصل غازي الميّاليّ، مباحث فراتيّة في الجغرافية والتاريخ والآثار، ص١٦٧.
(٢) المصدر نفسه، ص١٦٧.
(٣) تكليف رحم الصكبان، آل بدير تاريخهم وتراجم أعلامهم، بغداد، ١٩٩٠، ص١٤.

(١٩٣٧م)، ثمّ استُبدل اسمها بعد ثورة الرابع عشر من تمّوز إلى ناحية التحرير، وأُعيد لها اسم ناحية آل بدير سنة (١٩٦٣م)[١].

أمّا ما ذُكر عن وجود نواحٍ في آل بدير مثل: الصخيريّ والخرخرة، فلم نجد ما يؤكّد ذلك في المصادر الرسميّة على الرغم ممّا يتناقله موروث آل بدير من وجود مثل هذه النواحي، وتفسير ذلك في رأينا أنّ الدرجة الإداريّة لما ذكرنا كانت شعبة وليست ناحية، إذ ذكر السيّد فيصل الميّاليّ قائلًا « في فترات معينة سواءً أيّام الحكم العثمانيّ في العراق أو بداية تشكيل الدولة العراقيّة الحديثة كانت هناك درجة إداريّة تُسمّى شعبة» [٢].

وفي المعنى نفسه ذكر محمّد صالح الزيّاديّ في بحثه (لمحات من الحياة السياسيّة في مدينة الديوانيّة) أنّ الاستعدادات انتهت لنقل مركز اللواء إلى الديوانيّة عام (١٨٩٣م)، وعُرف اللواء حتّى نهاية الدولة العثمانيّة بلواء الديوانيّة، وتتبع مركز قضاء الديوانيّة ناحيتان هما: الدغّارة، وآل بدير، إذ إنّ تشكيل الناحية في بادئ الأمر كان باسم آل بدير، وسُميّت لاحقا باسم المراديّة[٣]. وتحوّلت الناحية إلى موقعها الحاليّ باسم المراديّة بجهد النائب الشيخ شعلان آل شهد، بعد أنّ غادر أكثر آل بدير، بسبب انقطاع المياه إلّا من نهر واحد، لا يصل إلّا إلى أراضي مشيخة آل شهد وأفراد عمومتهم من الشبابيط، ومازالت سجلّات المدرسة الأُولى في آل بدير تحتفظ بأسماء الطلّاب

(١) مقابلة شخصيّة للباحث مع عبد المحمد النبهاني في ٢٧/ ١/ ٢٠٢٣م.

(٢) فيصل غازي الميّاليّ، مباحث فراتيّة في الجغرافية والتاريخ والآثار، ص١٦٧.

(٣) يُنظر: محمّد صالح الزيّاديّ، لمحات من الحياة السياسيّة في مدينة الديوانيّة، مجلّة القادسيّة في الآداب والعلوم التربويّة، المجلّد ١٠، العددان ١-٢، ٢٠١١، ص٦٣.

الأوائل مثبتة فيها اسم مدرسة المراديّة[١]، وذكر مصدر آخر أنّ المراديّة قرية مندرسة، كانت مركزًا لقضاء مُسمّى باسمها، ثمّ صارت ناحية، وكان آخر مدير ناحية فيها اسمه إسماعيل السالم، ثمّ أُلغيت في سنة (١٩٣٢م)، وحلّ محلّها ناحية آل بدير الحاليّة التي مركزها قرية العبرة، ثمّ أُطلق عليها سنة (١٩٨٥م) ناحية التحرير[٢].

كانت هذه الناحية (آل بدير) تابعة إداريًّا لقضاء المراديّة المندرس، الذي شكّل وحدة إداريّة من نواحي الخرخرة والصخيريّ المندرسين وآل بدير، ثمّ بعد ذلك تمّ اختزالها وتقليصها[٣].

وكذلك نجد في مصدر آخر عن المراديّة أنّها قصبة تكوّنت في البداية كقرية تسكنها عشائر آل بدير، وبمرور الأيّام أخذت بالتوسّع، وأصبحت في نهاية الحكم العثمانيّ ناحية وفي موقعها السابق نفسه (قرية المراديّة)، بعد تغيّر صفتها الإداريّة من قضاء إلى ناحية كما مرّ ذكره، وسُمّيت باسم ناحية المراديّة؛ نسبة إلى مراد خان الوالي العثمانيّ، وكان فيصل آل عوفي يدفع راتبًا إلى مدير ناحية المراديّة، ويمدّه بمتطلّبات الحياة المعاشيّة إبّان اضمحلال الحكم العثمانيّ في العراق[٤]. وأمّا التشكيلات الإداريّة في هذه المنطقة في زمن الأتراك فقد كانت هذه المنطقة عبارة عن ناحيتي الدغّارة وعفك، ومدّة ما اتُّخذت المراديّة مركز قضاء عندما كانت معمورة[٥].

---

(١) أرشيف سجلات مدرسة الثائر الابتدائية في آل بدير.

(٢) حمود الساعديّ، دراسات عن عشائر العراق، ص١٦، ٣٢٣.

(٣) المصدر نفسه، ص ٣٢٣.

(٤) فيصل غازي الميالي، مباحث فراتية في الجغرافية والتاريخ والآثار، ص١٦٤.

(٥) مصطفى محمود العمريّ، لواء الديوانيّة في العهد الملكيّ، تحقيق عبد الخالق منديل صلّال، الدار البيضاء، بغداد، ٢٠١٩، ص٣٩.

٣- ومن الإشارات التاريخيّة حول وجود المراديّة كوحدة إداريّة نذكر الحادثة الآتية:

عند انتفاضة ٩ أيلول ١٨٦٩م التي قُتل فيها متصرّف لواء الديوانيّة توفيق أفندي في معركة عفك، تقرّر نقل مركز لواء الديوانيّة إلى مدينة الحلّة في ذلك العام، واستُبدل اسم اللواء من الديوانيّة إلى الحلّة، فقد عُيّن متصرّف جديد هو فهد باشا السعدون أحد أُمراء المنتفك، ولغرض إظهار ولائه للدولة أمر الوالي وجهّز قوّة من (٤٠٠٠) فارس وعدد كبير من المشاة، ثمّ تحرّكت تلك القوّة عبر طريقين: أوّلهما برًّا كان للخيّالة برفقة ناصر باشا السعدون، وثانيهما: نهرًا بواسطة (٥٠٠) مشحوف للرجال الذين يعلمون في بناء السدّ، وتحرّكت قوّة المنتفك حتّى وصلت إلى قلعة المراديّة في آل بدير (وهي قلعة من اللبن، وتشتمل على ساحة (حوش)، وفي أركانها الأربعة بنايات مدوّرة؛ لغرض الحراسة، ولقد بُنيت من السلطة العثمانيّة، وموقعها في الجهة الشماليّة الشرقيّة على بعد أقلّ من (١٠٠ م) من موقع قلعة آل عوفي (المراديّة) الجديدة التي بُنيت من الشيخ مزعل آل عوفي، ولتقارب مواقع القلعتين سُمّيت القلعة الثانية باسم قلعة المراديّة؛ إشارة إلى قلعة تسبقها وهي قلعة المراديّة[1]، وكان وصول ناصر باشا إلى المنطقة المذكورة في فترة هجرت أهلها، بسبب شحّة المياه عن المنطقة إلى الحسينيّة في محافظة واسط فسكنت هناك بانتظار صدور الأوامر لها بالتحرّك باتّجاه صدر الدغّارة كان ذلك ليوم الاثنين، إذ توجّهت إلى صدر الدغّارة؛ لغرض المشاركة في قتال

(١) سامي ناظم حسين المنصوريّ، انتفاضة ٩ أيلول ١٨٦٩م في الديوانيّة وتوابعها، دار الفرات للطباعة والنشر، بابل، ٢٠٢٢، ص٤٢-٤٧.

العشائر وفي عمليّات بناء السد[1].

وفي هذه المعلومة الموثّقة دلالة على أنّ التسمية سبقت السلطان مراد الخامس، فكيف يذكر في الوثيقة أنّ اسمها المراديّة عام (١٨٦٩م) في حين أنّ السلطان العثمانيّ اعتلى السلّطنة عام (١٨٧٦م)، وعليه لا بدّ أنّ تُدرس دلالة التسمية بموجب الوثائق التي تشير إليها. ولكي نلمّ بالموضوع نمرّ على عجالة على قبيلة آل بدير الواقعة في قضاء آل بدير جنوب محافظة الديوانيّة التي تحدّها محافظات واسط من الشرق، والمثنّى من الغرب، وذي قار من الجنوب، وتبلغ مساحتها (٨٥٠) ألف دونم، وتضمّ علاوة على آل بدير عشائر أُخرى، مثل: جليحة وآل عبد الله، والصوالح، وآلبوناشي، والرفيع، وتقع هذه العشائر على أطرافها من جهات عدّة[2].

تُقسّم قبيلة آل بدير على ثلاثة أسلاف رئيسة مستقلّة في قراراتها تمام الاستقلال، ويضم كلّ سلف عددًا من العشائر يزيد على عشر عشائر لكلّ سلف، والأسلاف هي[3]:

١ - سلف الفراحنة.

٢ - سلف آلبو خلف.

٣ - سلف آلبو حسين: وهم من ذرّيّة حسين بن غازي، ويضم العشائر والأفخاذ الآتية: آل خليفة ومنهم مشيخة السلف، وآل خنيجر،

---

(١) سامي ناظم حسين المنصوريّ، المصدر السابق، ص٤١-٤٦.

(٢) مقابلة شخصيّة للباحث مع الشيخ مظهر آل عوفي في ٤/ ٧/ ٢٠١٨م.

(٣) صباح مظهر العوفي، قلعة آل عوفي (المراديّة) توثيق لبعض كلمات المكان، دار تمّوز، دمشق، ٢٠٢٢، ص٥.

والشعار، وآلبو سعيد، وآل شويهي (المجاذيب)، وآلبو ماضي، وآلبو رويشد، ونبهان، إضافة إلى عشائر وأفخاذ مرتبطين معهم عشائريًّا منذ أكثر من قرنين من الزمن، وهم: آلبو عامر من قبيلة آلبو عامر، والعوابد من قبيلة العوابد، وآل سجي من قبيلة الجوابر، وآلبو دحيوة من قبيلة شمر، والدبّات من قبيلة الدبّات.

وممّا تجدر الإشارة إليه أنّ البحث في تاريخ المراديّة كوحدة إداريّة في أواخر العهد العثمانيّ وبداية العهد الملكيّ يدعونا إلى البحث عن عشائر سلف آلبو حسين التي كان منزلها في منطقة الفوّار الواقعة جنوب مدينة الديوانيّة على نهر يُدعى نهر الفوّار، وكانت هي الأُخرى (الفوّار) وحدة إداريّة تسكنها عشائر عديدة إضافة إلى عشائر آل بدير (آلبو حسين) منها عشائر آل فتلة، والعوابد، والحميدات، وقسم من عشيرة الحجّام، وبسبب شحّة المياه وانقطاعها عنها، وذلك لتغيّر مجرى الفرات وموت مجرى الفرات المارّ بالحلّة مات نهر الفوّار هو الآخر، وتفرّقت العشائر التي كانت تسكن مستفيدة من مياهه[1].

وهاجر الكثير من عشائر سلف آل بدير (آلبو حسين) إلى مناطق متعدّدة أبرزها إلى منطقة تُسمّى الهور، وهي المنطقة الواقعة جنوب النجف (الكوفة، والعبّاسيّة، والحرّيّة، وأبو صخير)، وشمال الديوانيّة (الشاميّة، والمهنّاويّة، والصلاحيّة، وغمّاس)، ومجموعة ارتحلت إلى إمارة ربيعة في الكوت، وقسم إلى مضارب بني زيد في الغرّاف والشطرة[2].

(١) صباح مظهر العوفي، المصدر السابق، ص١١.
(٢) المصدر نفسه، ص١٢.

أمّا أُسرة المشيخة مع قسم من عشائر آلبو حسين فلقد تخلّفوا في مدينة الفوّار لعدد من السنين، وعندما انحسر الهور عن مناطق الجهة الغربيّة من آل بدير (مقاطعة (١٧) آل بدير السلجة والصحين) أرسل الشيخ حمّادي بن خليفة الشيخ السابق لقبيلة آل بدير (آلبو حسين) نجله (عوفي) إلى المنطقة الحاليّة بعد أن علم أنّ حامية عثمانيّة كانت قد نزلت في المنطقة، وعند موت (حمّادي) انتقل باقي سلف آلبو حسين إلى المنطقة الحاليّة؛ بسبب انقطاع المياه عنها كما نوّهنا، وبسبب تفشّي مرض الطاعون (وهناك إشارات موثّقة لمثل هذه الأوبئة منها انتشار الطاعون بقرية عفك، ثمّ فتك بمدينة الفوّار بشكل مفزع، واستقرّ بهم الحال في أطراف مقاطعة (١٧) السلجة والصحين، ولم يتركهم مرض الطاعون إلّا بعد أنّ فقدوا الكثير من أفرادهم، وعند اكتمال انحسار المياه من الهور المُسمّى لاحقًا بهور(آل بدير) تقرّبوا إلى باقي أسلاف آل بدير (الفراحنة، وآلبو خلف) وسلف (آل حسن) الذي ارتبط مع سلف الفراحنة، وأصبح جزءًا منه، ونزح آلبو حسين إلى منطقة آل بدير؛ ليكونوا قريبين من حامية عثمانيّة أشبه بالمخفر، واستقرّت لتُسمّى هذه الحامية أو النقطة ب (آل بدير)، لتتحوّل لاحقًا إلى مركز وحدة إداريّة سُمّيت بـ(آل بدير)، ثمّ تغيّر اسمها إلى (المراديّة) كما سيرد تفاصيل ذلك لاحقًا[1].

ارتحال آلبو حسين إلى المراديّة

وممّا ورد ذكره أنّ مشيخة آل بدير (آلبو حسين) لم ترتحل مع قسم من

(١) صباح مظهر العوفي، المصدر السابق، ص١٣.

عشائرها إلى الكوت أو الهور، وإنّما تأخّرت في منطقة الفوّار، وحدثت محاولات عدّة لمعالجة شحّة المياه التي بسبب شقّ نهر الهنديّة الذي أدىّ إلى انقطاع المياه التي تصل إلى الديوانيّة، ومن هذه المحاولات هو قيام الدولة العثمانيّة بإقامة سدّ على مجرى الفرات ممّا سهّل جريان الماء في الحوض القديم لمجرى الفرات والمارّ بالديوانيّة، ولكنّ السدّ لم يصمد كثيرًا، وبعدها قامت الدولة العثمانيّة ببناء سدّة الهندية كما ذكرنا سابقًا، ولكن جميع هذه المحاولات لم تعالج شحّة المياه، بل وانقطاعها بالكامل عن نهر الفوّار، ممّا حدا بساكنيه للارتحال تباعًا عنه، حيث ارتحل العوابد، وآل فتلة، والحجّام وغيرهم بعد انقطاع نهر اليوسفيّة[1].

وما يهمّنا هنا ارتحال آل عوفي إلى منطقة المراديّة، وكان ذلك في عهد الشيخ حمّادي، الذي أوفد ابنه عوفي من الفوّار ليسكن في المراديّة قريبًا من الثكنة التركيّة الموجودة في الكار، ثمّ تحوّلت إلى المراديّة التي أصبحت حامية عثمانيّة، ولتتحوّل لاحقًا إلى وحدة إداريّة في عهد الدولة العثمانيّة الأخير، وبقى في منطقة الفوّار الشيخ حمّادي أبو الشيخ عوفي ومجموعة من أبناء عمومته، وبعد وفاة حمّادي تحوّلت المشيخة إلى عوفي، ومن بعده إلى مزعل، وأراد الشيخ مزعل أنّ يساند أبناء عمومته المتخلّفين في الفوّار الذين اشتبكوا مع الجبور الذين نشطوا بعد فراغ المنطقة من أهلها الأصليّين، لكنّ السلطة العثمانيّة حينها سيطرت على الموقف، فاضطُر الشيخ مزعل من إجلاء ما تبقّى من أبناء عمومته هناك ليلتحقوا بإخوتهم في المراديّة، وليتجمّعوا قرب

(١) أحمد سوسة، وادي الفرات ومشروع سدّة الهنديّة، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٥، ص٢٥٤-٢٥٥.

تـلّ أُم الخـزي في مقاطعـة (١٧) السـلجة والصـحين[١].

إنّ انتقـال الشـيخ عـوفي إلى المراديّـة كان يهـدف إلى الاسـتيطان في الأرض التـي انـحسر عنهـا الهـور، بسـبب التـغيّرات المذكـورة في مجـرى الفـرات، حيـث لم يعـد مـن المناسـب البقـاء في منطقـة الفـوّار للسـبب نفسـه مـن تذبـذب كمّيّـات الميـاه الواصلـة، وثـمّ انقطاعهـا نهائيًّـا، فأصبـح مـن المتعـذّر العيـش هنـاك خاصّـة وأنّ باقـي العشـائر قـد ارتحلـت إلى منطقـة الهـور في المثلّـث المنخفـض الكائـن بين الكوفـة والشـاميّة، وكان مـن بين المرتحلين الكثير مـن عشـائر آلبـو حسين ومنهـم: الشـعار، وآلبـو رويشـد، وآلبـو مـاضي، وبيـوت مـن باقـي العشـائر، أمّـا السـبب الـذي جعـل آل عـوفي ومـن معهـم مـن عشـائر لم يلتحقـوا بمعيتهـم المرتحلـة إلى الهـور المذكـور فيرجـع إلى أنّ الأرض التـي انـحسر عنهـا الهـور في المراديّـة (مقاطعـة (١٧) حاليًّـا) لم تكـن كافيـة لاحتـواء جميـع آلبـو حسين، إضافـة إلى التنافـس السـابق على رئاسـة آل بديـر الـذي كان في أقصى درجاتـه، حتّـى أنّ الأرض التـي انكشـفت عـن الهـور في منطقـة المراديّـة لم يسـتطيع آلبـو حسين مـن السـيطرة عليهـا إلّا بعـد معـارك طويلـة نوعًـا مـا، أحدهـا عندمـا اتّحـد عـوفي مـع (أمّيّـح مـن آلبـو زيّـاد مـن سـلف آلبـو خلـف) على طـرد أمير ربيعـة الـذي اتّخـذ (الحيحـة) وهـي قلعـة دائريّـة مازالـت آثارهـا ماثلـة للعيـان وأبعـدوه عنهـا[٢].

ولاحقًـا حدثـت معركـة على حـدود الأراضي بينهـم وبين آلبـو زيّـاد وآلبـو علي مـن عشـائر آلبـو خلـف، أعقبهـا معركـة حاسـمة مـع عـشيرة الفراحنـة بقيـادة الشـيخ الحاجّ صكبـان آلبـو جاسـم مـن جانـب الفراحنـة والشـيخ مزعـل آل عـوفي

(١) أرشيف عشيرة آلبو حسين.

(٢) صباح مظهر العوفي، المصدر السابق، ص١٠-١٢.

من جانب آلبو حسين، أمّا ما بين آل بدير من معارك التي رافقت نزوح آل بدير آلبو حسين في منطقة المراديّة فهي :

١. حدثت معركة بين آل بدير (البو حسين) بقيادة عوفي (الموفد من عمّه سوادي وأبيه حمّادي إلى الديرة التي سُمّيت لاحقًا بالمراديّة منزل عشائر آلبو حسين ولحدّ الآن) وآلبو زيّاد وآلبو علي بقيادة (أمّيّح).

٢. ولاحقًا حدثت معركة حاسمة مع عشيرة الفراحنة بقيادة الشيخ الحاجّ صكبان آلبو جاسم من جانب الفراحنة والشيخ مزعل آل عوفي من جانب آلبو حسين.

المبحث الثالث

قلعة آل عوفي - قلعة آل بدير (المراديّة)

قلعة المراديّة

عند الحديث عن قلعة آل عوفي (المراديّة)، لا بدّ من معرفة أسباب بنائها ومسوّغات اختيار مكانها الحاليّ؛ لدلالة ذلك على أساليب تملّك الأراضي في تلك الحقبة من تاريخ العراق، وما يتطلّبه ذلك من طرز المجابهة والتحصّن، إذ تؤدّي الأنهر ومناسيب المياه فيها دورًا يكاد أن يكون دورًا رئيسًا في رسم خريطة توزيع العشائر والتجمّعات، حيث إنّ أسلاف آل بدير الثلاثة (الفراحنة)، (آلبو حسين)، (آلبو خلف) عندما نزحوا من اليمن مرورًا بالحجاز وصولًا إلى عگرگوف ممتهنين رعي الماشية لا سيّما الجاموس، أُسوة بباقي القبائل النازحة، فنزلوا متوّخين المسطّحات المائيّة والأهوار في تلك المدّة التي كانت فيها نظم الريّ غير متطوّرة وتفتقر إلى السدود والنواظم وخزّانات المياه، ممّا يجعل ضفاف الأنهر ومساحات شاسعة أُخرى عرضة للفيضانات، فكانت المحطّة النهائيّة لهذه الأسلاف الثلاثة المكونة لآل بدير هي أطراف هور كبير في المكان الحاليّ لمضارب القبيلة، ومن ذلك نرى أنّ أُسلوب غزو الأراضي وامتلاكها يكون عن طريق المجابهة، وذلك لعدم وجود صيغ للتملّك، أو أنّ الدولة غير قادرة في حينها على فرض إرادتها في هذا المضمار، يُضاف إلى ذلك عدم وجود سواتر ترابيّة وأبنية يتّخذونها للدفاع والمقاومة؛ لذلك تلجأ العشائر لبناء القلاع للحماية والمقاومة[1].

(١) يُنظر: عماد عبد السلام رؤوف، المدينة العراقيّة، موسوعة حضارة العراق، ج١٠، ص١٧٩.

موقع القلعة

تقع القلعة في القطعة المتروكة (١٤) مقاطعة (١٧) السلجة والصحين (آل بدير) على الضفاف اليمنى لنهر العدل، وهو عمود نهر اليوسفيّة الرئيس الذاهب إلى شطّ الكار، أي: إنّها في الجزء الغربيّ من منطقة آل بدير الحاليّة التابعة لمحافظة الديوانيّة[١].

تاريخ البناء

إنّ جفاف نهر اليوسفيّة التدريجيّ -كما ذكرنا- وشقّ نهر الثريمة ليصل إلى منطقة عشائر آل بدير (آلبو حسين) الحاليّة مبتعدًا عن موقع هذا السلف السابق في الفوّار حدث في أواخر عقد السبعينيّات وبداية عقد الثمانينيّات من القرن التاسع عشر، ممّا حدا بعشائر سلف آلبو حسين مع مشايخهم في عهد الشيخ عوفي البديريّ للانتقال إلى المنطقة الجديدة الحاليّة بعد مرحلة انتقاليّة في أطراف مقاطعة (١٧) في (إيشان أبو دخن) قرب النجميّ بمحافظة المثنّى، واقتصرت حمايتهم الأُولى على قلاع طينيّة أُسوة بباقي العشائر، لتحلّ محلّها قلعة آل عوفي في مدّة كانت القلاع ظاهرة ملزمة لمن أراد أن يستحوذ على أراضٍ لعشيرته عندما كانت الأراضي تؤخذ بالقوّة[٢].

التسمية

سُميّت قلعة آل عوفي بتسميات عدّة، منها:

١ - قلعة آل عوفي: وهي تسميتها الأُولى التي استُمدّت من اسم الشيخ العامّ

(١) صباح مظهر العوفي، المصدر السابق، ص١٠-١٢.
(٢) المصدر نفسه، ص١٥-١٦.

مزعل آل عوفي، الذي قام بتشييدها عام (١٨٨٥م)، ورصد لها مبلغ (٣٠٠) ليرة، وجُمعت بمساهمة من جميع أفراد العشائر وبمشاركة ماديّة من الشيخ مزعل آل عوفي[١].

٢ - قلعة آل بدير: أسهمت جميع عشائر آل بدير بالمعركة ضدّ الجاندرمة العثمانيّة التي كان همّها الوحيد استحصال الضريبة على الأراضي الزراعيّة وعلى الماشية (الكودة)، فاستحقّت تسمية قلعة آل بدير بكلّ أسلافها وعشائرها والمرتبطين معهم بحلف، ومازالت العشائر المجاورة تذكر هذه القلعة باسم قلعة آل بدير [٢].

٣ - البيضة: جاءت التسمية من لونها الأبيض، حيث كانت مطليّة بمادّة أشبه بالنورة.

٤ - الشخّاطة: وهي تسمية لاحقة، استُلهمت من شكلها الذي يشبه علبة أعواد الثقاب (الشخّاطة).

٥ - المراديّة: وهي التسمية التي التصقت بها منذ أنّ هاجرت عشائر آلبو حسين إلى مضارب ربيعة عند جفاف نهر الثريمة المذكور وانقطاع المياه فيه، إذ سُمّيت القلعة باسم المنطقة التي كانت تُعدّ وحدة إداريّة سُميّت لاحقًا بـ(المراديّة)، وجاءت هذه التسمية لأحد الأسباب الآتية:

أ - إنّ هذه التسمية قد لحقتها تيمّنًا باسم السلطان العثمانيّ مراد الخامس (٣٠/ ٦/ ١٨٧٦م - ٣١/ ٨/ ١٨٧٩م).

---

(١) صباح مظهر العوفي، المصدر السابق، ص ١٧.

(٢) تكليف رحم الصكبان، المصدر السابق، ص١٤.

ب – أُخذت التسمية من اسم مراد أفندي أبو كذيلة متصرّف الحلّة إذ كانت المراديّة وحدة إداريّة تابعة لها عند مروره بقائمّقاميّة قضاء الديوانيّة، أو ربّما أُخذت التسمية من المتصرّف مراد چلبي الذي حكم الحلّة في القرن التاسع عشر، إلّا أنّ المصادر لم تذكر المدّة التي قضاها في إمارة الحلّة[1].

ت – إنّ تسمية القلعة – كما ذكرنا– جاءت من قلعة عثمانيّة شُيدت في وقت سابق يمتدّ إلى ما قبل (١٨٦٩م) تُسمّى (الحيحة)، ومازالت آثارها واضحة، ولها مثيلات من القلاع مشابهة لها، ومنها القلعة (الحيحة) الواقعة في منطقة أراضي جليحة الواقعة في آل بدير حاليًّا، والذي يؤكد ذلك ما ورد في المذكّرة التي ذُكرت في موضوعنا عن منطقة المراديّة، إذ ورد اسم المراديّة في هذه الوثيقة عام (١٨٦٩م).

طراز بناء القلعة

– شكل البناء

بُنيت القلعة على شكل صندوقيّ مستطيل قائم بمواجهة شروق الشمس وغروبها، وتألّف بناؤها من طابقين مع الفضاء العلويّ، ويتمّ الوصول إليه عبر سلّم، يرتفع بشكل عموديّ نوعًا ما في الجهة الشرقيّة الداخليّة للقلعة، ويرتفع البناء (١٠,٩م) موزّعة بواقع (٥٠,٣م) للطابق الأرضيّ، و (٣م)

(١) يُنظر: محمّد حسن عليّ مجيد، ولاة الحلّة وحكّامها في القرن التاسع عشر حتّى نهاية الحكم التركيّ في العراق ١٨٠٠ – ١٩١٧ وأثرهم في الشعر، مجلّة المؤرّخ العربيّ، العدد ٢٠، بغداد، ١٩٨١، ص٢٦٤.

للطابق الأوّل، و(٢م) للفضاء غير المسقف، إضافة إلى مجموع سمك السقفين (٦٠سم)، إذ إنّ سمك السقف الواحد (٣٠سم)، أمّا عرض القلعة فهو (٩٠ ,٣م) من الخارج و(٣ م) من الداخل أمّا طول القلعة من الخارج فهو (٣٥ ,١٠م) وطول الأركان الأماميّة فهو (١٠ ,١م)، والخلفيّ (٩٥سم)، وعرض سور البناء (٤٥سم)، أمّا طولها من الداخل فهو(٤٠ ,٧م)، كان استيعاب قلعة آل عوفي (١٥٠) شخصًا، إضافة إلى مساحة الحوش الخارجيّ، الذي يستوعب اكثر من الف مسلح مع الخيول[١].

- موادّ البناء

بُنيت القلعة بالآجرّ الخاصّ، وأُنشئت (كورة) لشية وفخرة قريبة من القلعة، أمّا أبعاد الآجرّ التي تأخذ شكل (الفرشي) الموجود في أسواق البناء حاليًّا فطولها (٢١ سم) وعرضها (١٤سم)، أمّا الارتفاع فكان (٤ سم)[٢].

- سقف القلعة

كان سقف القلعة معمولًا من جذوع النخيل المشطور والباريات (جمع بارية التي تُعمل من القصب)، وكذلك رزم من القصب تُربط بشكل حزمة لتوضع فوق الجذوع[٣].

---

(١) صباح مظهر العوفي، المصدر السابق، ص٢٠-٢١.

(٢) أغلب معلومات هذا المبحث اعتمدنا فيها على المسح الميدانيّ للقلعة.

(٣) صباح مظهر العوفي، المصدر السابق، ص٢٢.

- طلاء القلعة

طُليت القلعة من الخارج بمادّة النورة القريبة من اللون الأبيض.

- تصاميم ملحقة

زُودّت القلعة بمزاغل للرمي في طابقيها الثاني والعلويّ المكشوف، وهي على نوعين:

١. **الزراكات**: هي السقاطات التي تفتح في أغلب القلاع، وما يهمّنا في قلعة المراديّة هو وجود ستّ زراكات منفتحة في أعلى جدران القلعة، فُتحت في وسط ستّة حنايا مستطيلة الشكل من داخل القلعة، وهي تتّجه بفتحاتها إلى الأمام بشكل مستقيم؛ كي يتمّ من خلالها الرمي بعيدًا عن القلعة ضمن مدى السلاح المتعارف عليه آنذاك.
٢. **الدناكات**: تكون إلى الجهة السفلى، وهي عبارة عن شقّ طوليّ في جدران القلعة متّجهة نحو الأسفل، يتمّ من خلالها الرمي على المتسلّلين القريبين من القلعة[١].

- البناء الخارجيّ

وهو بناء من اللبن غير المفخور مربّع الشكل يُدعى حوش القلعة، أبعاده (٥١ م) من جانب الجنوب الشرقيّ وما يقابله من الجنوب الغربيّ، ويُستخدم

(١) للمزيد عن أشكال المزاغل في العمائر العسكريّة والحربيّة يُنظر: رجوان فيصل الميّاليّ، عمارة القلاع والحصون الإسلاميّة في وسط العراق وجنوبه في العصرين العثمانيّ والملكيّ، ص٥٥

البناء الخارجيّ لإيواء الخيول، وله وظيفة أُخرى في فصل الصيف، تتمثّل بأنّه المتنفّس الوحيد الذي يقلّل درجة الحرارة.

- دار السكن وهي معمولة من الطابوق معدّة لسكن الشيخ مع أُسرته داخل سياج القلعة الخارجيّ.
- بيت الشعر كان مكان جلوس الضيوف على هيئة بيت شعر، يتمّ صنعه من شعر الماعز، وموقعه في الركن الممتدّ جنوبًا من حوش القلعة، وطوله (٢٠م).

استخدامات أُخرى

إنّ توسّط القلعة لمناطق صحراويّة شاسعة وغير مأهولة تزيد على آلاف الدونمات جعلها محطّة وسطيّة لاستراحة المسافرين الذين يعبرون الصحراء من الديوانيّة والكوت باتّجاه مدن: الرميثة، والسماوة، والخضر، أو قوافل المسافرين من زائرين وناقلي الجنائز في طريقهم إلى المدن المقدّسة في كربلاء، والنجف والقادمين من جنوب العراق خاصّة، وهي تضمّ خانًا لمبيت الجنائز يُدعى (**نعش خانه**)، مازالت آثاره قريبة من القلعة، فضلًا عن أنّ حرَس القلعة وقاطنيها اعتادوا على إشعال منارًا في أيّام السلم أعلى القلعة؛ لاستدلال القوافل ليلًا على الطريق إليها، أمّا نهارًا فإنّ ارتفاعها يؤمّن هذا الغرض[1].

إعادة ترميم القلعة

إنّ عمر القلعة الذي يقرب من قرن ونصف أدّى إلى تآكل أجزاء منها

(١) صباح مظهر العوفي، المصدر السابق، ص٢٦.

وتلفها، ممّا حدا بأُسرة آل عوفي إلى مراجعة دائرة الآثار؛ لاستحصال الموافقة على ترميمها؛ لكونها أصبحت جزءًا من التراث العراقيّ، وسجّلت في سجلّاتهم وفي الجريدة المختصّة، ولم تسهم الدولة في ترميمها، فاضطُرّ أصحاب القلعة إلى أخذ موافقة مديريّة الآثار لترميمها على نفقتهم وبإشراف مباشر ويوميّ من المديريّة، إذ تشكّلت لجنة من مديريّة الآثار العامّة لهذا الغرض، واكتمل ترميمها سنة (٢٠١٥م)[١].

معارك قلعة آل عوفي

يمكن ذكر أهمّ المهامّ القتاليّة للقلعة وهي:

١. دورها في أخذ الأراضي التي استوطنها سلف آلبو حسين، وهي مقاطعة (١٧) السلجة والصحين آل بدير.

كان لقلعة المراديّة دور كبير في السيطرة على الأرض التي هي الآن موطن لآلبو حسين، إذ لم تكن هناك صيغ واضحة ومعتمدة لتملّك الأراضي، وإنّ وُجدت فهي صيغ تستخدمها السلّطات خاصّة العثمانيّة لغرض تقريب جهة على حساب جهة أُخرى؛ ولذا كانت السيطرة على الأرض تخضع لمعايير القوة غالبًا.

وحدثت معارك عدّة وثّقتها الأهازيج، ومنها:

(تفگنه ارعيد واحبال اختلسوا منّه تحت ركن المعصية صارت الدنّه)

و(ارعيد) و(احبال) شخصان مهاجمان لكنّهما انهزما من المعركة، وتفادا

(١) ملفّة القلعة في مفتّشيّة آثار وتراث محافظة الديوانيّة.

رصاص الأسلحة الموجهة إليهم، و (المعصية) إحدى أسماء هذه القلعة، وتعني أنّها صعبة الاحتلال، أمّا كلمة (الدنّه) فتعني الصياح المرافق للمعركة. و(جماح اسبك لو جبوري)، وهنا يسأل المهوال هل (جماح) وهو من سبق أم (جبوري) هو السابق. أي: إنّهم انهزموا من المعركة التي حدثت في القلعة، ولا نعرف من سبق الآخر[1].

٢. دورها في التصديّ للجندرمة العثمانيّة

كانت القبائل العربيّة في العراق تمارس الحكم الذاتيّ خلال السيطرة العثمانيّة ممارسة فعليّة، وكان لرئيس العشيرة من النفوذ على اتباعه مثل ما للوالي من النفوذ على سكان المدن التي يتولّى حكمها. وكانت الحكومة العثمانيّة اذا أرادت تأكيد سلطتها على المناطق الريفيّة اضطُرّت إلى سوق الجيوش، وخوض غمار المعارك أيّامًا طويلة بل شهور عدّة في بعض الأحيان، تبعًا لمقدار قوّة القبائل التي تسكنها، من حيث وعورتها أو سهولتها[2].

لقد كان من النادر في العهد العثمانيّ أنّ يأتي والٍ إلى العراق من دون أنّ يشتبك أثناء حكمه في معركة مع إحدى القبائل أو مع مجموعة من القبائل، وربّما انشغل الوالي طيلة حكمه بالقتال مع القبائل، وقد وضّح الشيخ فريق آل فرعون شيخ آل فتلة سبب ذلك بقوله: «كان العراقيون خلالها يطالبون السلطات العثمانيّة باستقلال العراق داخل حدوده الكاملة، غير أنّهم... كانوا لا يحسنون التعبير عمّا تكنّه صدورهم، وعمّا يدور في خلدهم، وعمّا تتشوّق إليه

(١) أرشيف عشيرة آلبو حسين.

(٢) كاظم المظفّر، ثورة العراق التحرّريّة، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧٢، ص٨٥.

أرواحهم من الحرّيّة، فتراهم بين بضع سنين وأُخرى يقومون بحركة ضدّ السلطة العثمانيّة مظهرين فيها استياءهم، وهم لا يملكون التعبير أكثر من قولهم (إنّ هذه الحكومة -ما نريدها-) وكلمة (ما نريدها) تعبّر أحسن تعبير عن شعورهم بوجوب التحرّر من أغلال الاستعمار وسيطرة الأجانب ولسان حالهم يقول: نريد حكومة منّا لنحكم أنفسنا بأنفسنا» [1].

ويرى الدكتور عليّ الورديّ:»أنّ الشيخ فريق أراد بهذا القول مدح القبائل العراقيّة، وهو أحد زعمائها، فنسب إليها هذه النزعة في حبّ الحرّيّة والاستقلال، والواقع أنّ القبائل العراقيّة بوجه خاصّ، وأهل العراق بوجه عامّ، لم يكونوا يعرفون هذه النزعة أو يدركون لها معنى، فهي نزعة حديثة لم تظهر في العراق إلّا في عهد متأخّر جدًّا. وقد فنّد السيّد (فراتي) الرأي الذي جاء به الشيخ فريق فقال: أمّا الصحيح فإنّ عشائر العراق كانت في اصطدام بالحكومة العثمانيّة، إمّا بسبب الضرائب أو بسبب مساندة العثمانيّين لعشيرة دون أُخرى لغرض سياسيّ»[2].

وكانت الدولة العثمانيّة غير قادرة على السيطرة على العشائر لا سيّما في فترات ضعفها الكثيرة، ولذلك لم يكن بمقدورهم دخول العشائر إلّا على شكل حملات قمعيّة، إذ تقوم بنهب محاصيلهم باسم الضرائب الثلاثة المعروفة (الكودة، والميري، والبيتيّة)، ولذلك وللأسباب المذكورة قام الجندرمة المرابطين قرب مفتول (الأحيبش) بمهاجمة قلعة آل عوفي، وكان نهر العدل الواسع هو الحدّ

---

(١) فريق مزهر الفرعون، الحقائق الناصعة، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٢، ص٢٧.

(٢) عليّ الورديّ، ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقيّ، دار ومكتبة دجلة والفرات، بغداد،١٩٨٤، ص١٩٥.

الفاصل بين الجهتين المتخاصمتين، وحدثت مناوشات بالأسلحة المتوافرة آنذاك، مثل: (الماطلي، وأُمّ عبيّة، والتيزي)، وقد استماتت آل بدير، وألحقت خسائر كبيرة بالجندرمة عدم تكافؤ القوّتين، فالجندرمة مدرّبة على الأسلحة الحديثة في ذلك الوقت من بنادق وعتاد، وآل بدير عشائر كان سلاحهم السيف والمگوار والفالة وبعض الأسلحة البدائيّة، وتناهى إلى أسماع جدّنا مزعل آل عوفي الذي كان هو وأبناء عمومته من تصدّى لهم بأنّهم استنجدوا بحكومتهم؛ لغرض أرسال تعزيزات لدحر القوّة العشائريّة المتمرّدة، فما كان منه (شيخ مزعل آل عوفي) إلّا أن أصطحب معه شيخ سكر آل فرعون شيخ قبيلة آل فتلة الكائنة في المشخاب إلى الوالي في بغداد، بعد أنّ استنجد به عند ذهابه له هناك، بحكم العلاقة القديمة التي تربطه به عندما كانت القبيلتان تتّخذان من الفوّار موطنًا لهم جنوب شرق (الديوانيّة حاليًّا)، وعند وصولهم إلى الوالي تكلّموا معه بصيغة لا تخلو من تهديد موضّحين أنّ التمادي في الضغط الذي يُمارس على العشائر سيجعل المنطقة أو الولاية العثمانيّة كالبركان الذي يثور حينها، وربما لا يمكن إخماده[1].

لقد صدر أمر من الوالي العثمانيّ بعدم إرسال التعزيزات، وأبرق بإيقاف القتال وسحب الجندرمة. والشعر خير موثّق لهذه الملحمة إذ قالت الشاعرة البديريّة نعيًا:

(يمجصّصه يم اثنعش باب
عليچ الحكومه جرّت اطواب
من راح راعيچ فلا خاب لبغداد
ردّ العدو والشامت انصاب)

(١) أرشيف عشيرة آلبو حسين.

الخاتمة

١. أظهر البحث أنّ منطقة الدراسة لها بعد حضاريّ وتاريخيّ عميق موغل في القدم، يعود إلى عصور ما قبل التاريخ، وهذا متمثّل في المدن الأثريّة مثل: نفر، وشروباك، وإيسن المحيطة بمنطقة الدراسة.

٢. أوضح البحث أهمّيّة منطقة الدراسة؛ لكونها تشرف على مناطق ريفيّة وزراعيّة واسعة وحدودها مشتركة مع محافظتي المثنّى وذي قار، فضلًا عن اهتمام الكثير من السوّاح الذين زاروها ومرّوا بها أيّام ازدهارها، مثل الرحّالة لوفتس والرحالة جزني.

٣. تبيّن من خلال البحث أنّ منطقة المراديّة فيها شبكة أنهار كبيرة ومتداخلة، تحتاج إلى تسليط الضوء بشكل أكبر؛ لكشفها ودراستها دراسة مفصّلة.

٤. تبيّن أنّ المنطقة وجميع القرى والمدن المحيطة بها فيها أحداث سياسيّة كبيرة ومعارك حاسمة، لعبت دورًا كبيرًا في رسم خريطة القبائل لأغلب القبائل في المحافظة.

٥. أدّت قلعة المراديّة دورًا مميزًا في المنطقة؛ لأنّها أوّل وأهمّ خطّ دفاعيّ صعب اختراقه، ممّا ساعدت على حصول امتيازات ومكاسب كثيرة، استفادت منها جميع عشائر آل بدير بشكل عامّ وعشيرة آلبو حسين بشكل خاصّ.

٦. تمتّعت قلعة المراديّة بموقع استراتيجيّ مهمّ وطراز عمرانيّ فريد من نوعه، له مميّزات دفاعيّة وحربيّة مهمّة متكوّنة من موادّ بنائيّة جيّدة وهي: الآجرّ، والجصّ. على العكس من بقيّة القلاع الموجودة في منطقة الدراسة، وهي من اللبن والطين، مثل: قلعة بندر، وقلعة تلّ بنت، وقلعة زبالة وغيرها.

٧. إنّ البحث والتقصّي في تاريخ المنطقة وقلعتها أوضح أنّ تسمية المراديّة لها عمق تاريخيّ أسبق من عهد السلطان مراد الخامس، وكذلك أقدم من عهد الوالي مدحت باشا.

الملاحق

صورة رقم (١)

قلعة المراديّة قبل الترميم[١]

(١) الصورة بعدسة الباحث.

صورة رقم (٢)

قلعة المراديّة قبل الترميم[١]

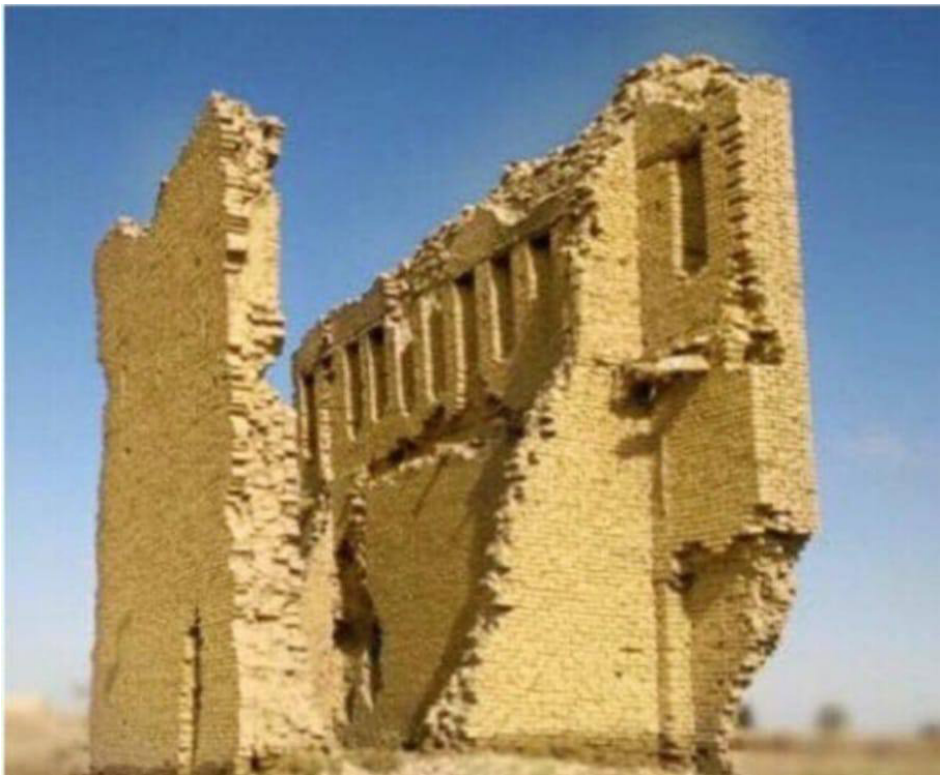

(١) الصورة بعدسة الباحث.

صورة رقم (٣)

قلعة المراديّة بعد الترميم[١]

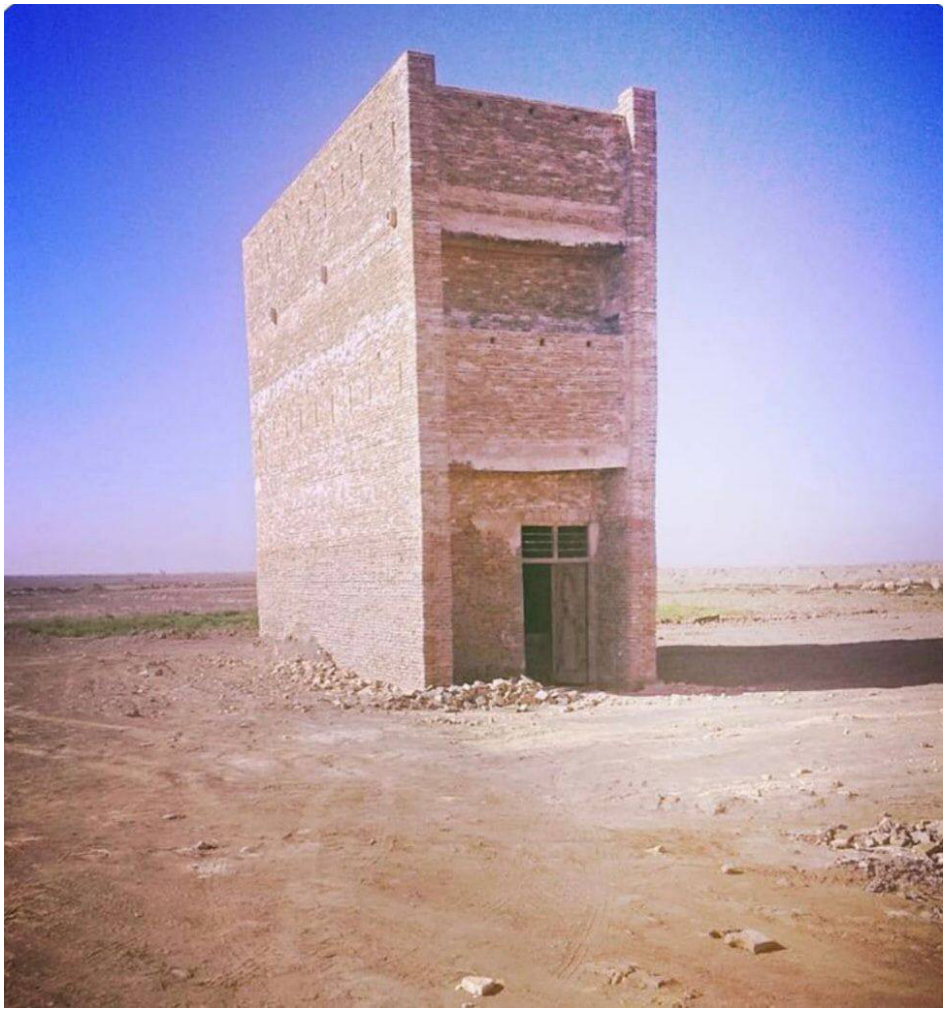

(١) الصورة بعدسة الباحث.

خريطة لناحية آل بدير عام (١٩٤٠م)

تظهر فيها المراديّة وعشيرة آلبو حسين[١]

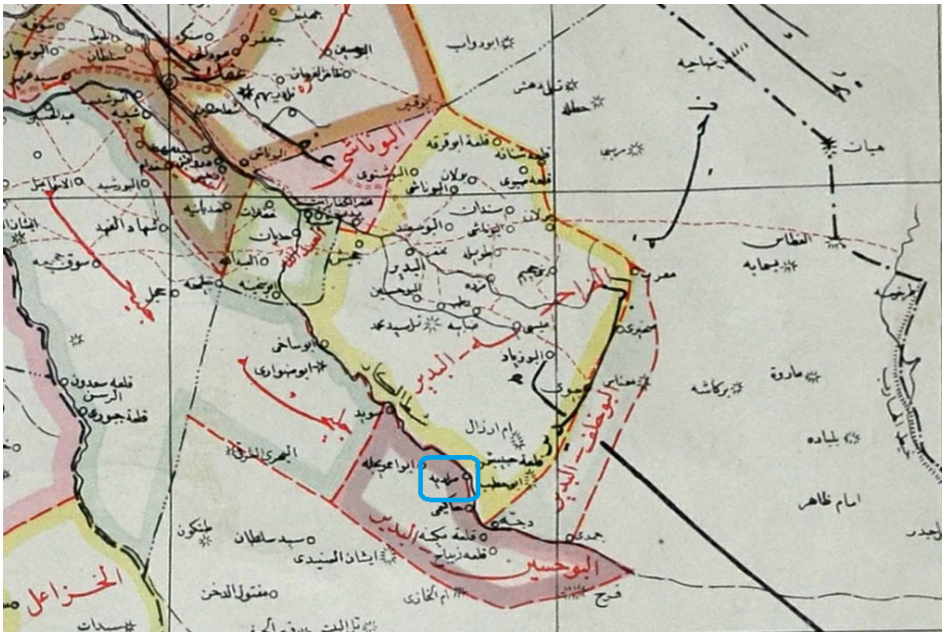

(١) مديريّة المساحة العامّة، خريطة الحدود العشائريّة والإداريّة للواء الديوانيّة عام ١٩٣٦، بغداد.

قائمة المصادر

أوّلًا: الوثائق غير المنشورة:

١. أرشيف مديريّة ناحية آل بدير.
٢. ملفّة القلعة في مفتّشيّة آثار وتراث محافظة الديوانيّة.

ثانيًا: الوثائق المنشورة

١. جريدة الوقائع العراقيّة، المرسوم الجمهوريّ رقم ٤٢٦ في ٣/ ٤/ ١٩٦٩م.
٢. جريدة الوقائع العراقيّة، العدد (١٧١٨)، ٢٠ نيسان ١٩٦٩م.
٣. مديريّة المساحة العامّة، خريطة الحدود العشائريّة والإداريّة للواء الديوانيّة عام ١٩٣٦، بغداد.

ثالثًا: الكتب العربيّة:

١. أحمد سوسة، وادي الفرات ومشروع سدّة الهنديّة، مطبعة المعارف، بغداد، ١٩٤٥.
٢. أحمد الشرقاويّ، محمّد عبد العاطي محمّد، ياسر أحمد محمّد، جغرافية الممالك العثمانيّة، دار البشير للثقافة والفنون، ٢٠١٨.
٣. تكليف رحم الصكبان، آل بدير تاريخهم وتراجم أعلامهم، بغداد، ١٩٩٠.
٤. جميل موسى النجّار، الإدارة العثمانيّة في ولاية بغداد، دار الشؤون الثقافيّة العامّة، بغداد، ٢٠٠١.
٥. حسين حاجم بريديّ النواصر، معجم الناصريّ لنسب وتاريخ العشائر

العراقيّة، مؤسّسة دار مدين للطباعة، البصرة، (د.ت).
٦. حليم بك إبراهيم، تاريخ الدولة العثمانيّة العليّة، مؤسّسة ٦ - المختار للطباعة والتوزيع، بيروت، ٢٠٠٤.
٧. حمود الساعديّ، بحوث عن العراق وعشائره، مطبعة دار الأندلس، النجف الأشرف، ١٩٩٠.
٨. حمود الساعديّ، دراسات عن عشائر العراق، مطبعة الانتصار، بغداد، ١٩٨٨.
٩. دومينكو سيستيني، العراق في رحلة الأب دومينكو سيستيني في سنة ١٧٨١م، ترجمة خالد عبد اللطيف حسين، المؤسّسة العربيّة للنشر والتوزيع، ٢٠١٥.
١٠. رجوان فيصل الميّاليّ، عمارة القلاع والحصون الإسلاميّة في وسط العراق وجنوبه في العصرين العثمانيّ والملكيّ، مطبعة دار الكفيل، العتبة العبّاسيّة المقدّسة، مركز تراث الجنوب، ٢٠٢٤.
١١. سامي ناظم حسين المنصوريّ، انتفاضة ٩ أيلول ١٨٦٩م في الديوانيّة وتوابعها، دار الفرات للطباعة والنشر، بابل، ٢٠٢٢.
١٢. سامي ناظم حسين المنصوريّ، الديوانيّة في العهد العثمانيّ الأخير ١٨٥١-١٩١٧، مطبعة دار المدينة الفاضلة، بغداد، ٢٠١٢.
١٣. سامي ناظم حسين المنصوريّ، الديوانيّة وتوابعها في وثائق الأرشيف العثمانيّ ١٨٦٥ - ١٩١٧م، دار المدينة الفاضلة، ط١، بغداد : ٢٠١٥.
١٤. سامي ناظم حسين المنصوريّ، ٢١كانون الأوّل ١٧٠١م من هنا بدأت حكاية مدينة الديوانيّة، دار الفرات للطباعة، بابل، ٢٠٢٢.
١٦. سعد عبد الواحد عبد الخضر، فريق مزهر الفرعون مواقف وتاريخ، دار المدينة الفاضلة للطباعة والنشر، بغداد.

١٧. صباح مظهر العوفي، قلعة آل عوفي (المراديّة) توثيق لبعض كلمات المكان، دار تمّوز، دمشق، ٢٠٢٢.

١٨. عبد الرحمن بن عبد الله السويديّ البغداديّ، حديقة الزوراء في سيرة الوزراء، حقّقه وقدّم له وعلّق عليه عماد عبد السلام رؤوف، منشورات المجمع العلميّ، مطبعة المجمع العلميّ، بغداد، ٢٠٠٣.

١٩. عبد الرزّاق الحسنيّ، العراق قديمًا وحديثًا، دار الرافدين للطباعة، بيروت، ٢٠١٣.

٢٠. عليّ الورديّ، دراسة في طبيعة المجتمع العراقيّ، دار ومكتبة دجلة والفرات، بغداد، ١٩٨٤.

٢١. عماد عبد السلام رؤوف، المدينة العراقيّة، موسوعة حضارة العراق، ج١٠، بغداد، ١٩٨٢م.

٢٢. فريق مزهر الفرعون، الحقائق الناصعة، مطبعة النجاح، بغداد، ١٩٥٢.

٢٣. فيصل غازي الميّاليّ، الانتفاضات الفلّاحيّة في محافظة القادسيّة خلال العهد الملكيّ، منشورات مؤسّسة الفكر الجديد، النجف الأشرف، ٢٠١٣.

٢٤. فيصل غازي الميّاليّ، القول المعلوم في تاريخ حمزة للموم، مدينة الحمزة الشرقي عبر التاريخ، تحقيق رجوان فيصل الميّاليّ، دار قناديل للطباعة، بغداد، ٢٠١٩.

٢٥. فيصل غازي الميّاليّ، مباحث فراتيّة في الجغرافية والتاريخ والآثار، ج١، مطبعة المارد العالميّة، النجف الأشرف، ٢٠١٠.

٢٦. كاظم المظفّر، ثورة العراق التحرّريّة، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧٢.

٢٧. مرتضى أفندي نظمي زاده، كلشن خلفا، نقله إلى العربيّة موسى كاظم نورس، مطبعة الآداب، النجف الأشرف، ١٩٧١.
٢٨. مصطفى محمود العمريّ، لواء الديوانيّة في العهد الملكيّ، تحقيق عبد الخالق منديل صلّال، الدار البيضاء، بغداد، ٢٠١٩.
٢٩. ودّاي العطيّة، تاريخ الديوانيّة قديمًا وحديثًا، منشورات المكتبة الحيدريّة، النجف الأشرف، ١٩٥٧.

رابعًا: الكتب باللغة الإنكليزيّة:

1 - Chesney. R.A, survey of rivers Euphrates and ticris , New York.

خامسًا: البحوث العلميّة:

١. رجوان فيصل الميّاليّ، سور مدينة الديوانيّة القديم، مجلّة القادسيّة للعلوم الإنسانيّة، المجلد ١٦، العدد١، ٢٠١٣.
٢. محمّد حسن عليّ مجيد، ولاة الحلّة وحكّامها في القرن التاسع عشر حتّى نهاية الحكم التركيّ في العراق ١٨٠٠ – ١٩١٧ وأثرهم في الشعر، مجلّة المؤرّخ العربيّ، العدد ٢٠، بغداد، ١٩٨١.
٣. محمّد صالح الزيّاديّ، لمحات من الحياة السياسيّة في الديوانيّة، مجلّة القادسيّة في الآداب والعلوم التربويّة، المجلّد ١٠، العددان ١-٢، ٢٠١١.
4. W. Kennett Loftus, Notes of a Journey from Baghdad to Busrah, with Descriptions of Several Chaldaean Remains, Journal of the Royal Geographical Society of London, Vol. 26, 10 March, 1856.